المبحث العاشر
التربية الاقتصادية للمرأة المسلمة المعاصرة

يحرص الإسلام على أن تكون شخصية المسلم متزنة تتميز بالحكمة التي تمكنها من وضعها في جميع المجالات، والجانب الاقتصادي يمثل أحد المجالات التي ينبغي على التربية أن تهتم به؛ بحيث تمد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات والمهارات والاتجاهات اللازمة التي تمكنها من الإسهام في عملية التنمية وإزالة ما بالأمة الإسلامية من تخلف.

وسوف نتناول فيما يلي دور التربية في ذلك من خلال المحاور التالية:

أولا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة للإسهام في التنمية.

ثانيا: المرأة والاستهلاك.

ثالثا: دور التربية في تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على التخطيط والإدارة داخل المنزل.

رابعا: اتجاهات ومهارات اقتصادية ينبغي على التربية أن تعمل على تنميتها لدى المرأة المسلمة المعاصرة.

أولا: دور التربية في إعداد المرأة للإسهام في التنمية:

ظلت المرأة تؤدي دورها في جميع مجالات الحياة الاجتماعية منذ بداية الوجود البشري، وتشارك في تقدم المجتمعات وازدهارها بما تقوم به من أعمال إلى جانب مهامها الأساسية المتمثلة في الأمومة والزوجية.

لكن عدم احتساب هذه المهام ضمن الدخل القومي قد جعل علماء الاقتصاد والتنمية الاقتصادية في الغرب يعتبرون المرأة عضوا عاطلا في المجتمع، ويعتبرون أن عدم مشاركتها في التنمية يمثل إهدارا للطاقة البشرية.

وما من شك في أن هذه النظرة تخالف وجهة نظر الإسلام، الذي يعتبر عمل المرأة داخل المنزل موازيا لعمل الرجل خارجه، فقد رأينا أن رسول الله ﷺ قد أجاب وافدة النساء بما يفيد ذلك حيث قال: "إن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل كل ما ذكرت"[1].

(١) انظر نص الحديث ص ١٣٤.

ومن ذلك ندرك الخطأ الكبير الذي يقع فيه من يعرف العمل على أنه " نشاط يؤدي إلى أجر مالي "، فهو على حد رأي زهور الأزرق تعريف ناقص يغفل جهد المرأة المخلص في تربية أبنائها ورعاية شئون أسرتها، وهي أعمال لا تتقاضى عليها المرأة أي أجر، في حين أن استئجار من يقوم بها نيابة عنها يكلف الكثير إلى جانب السلبيات العائدة على تكوين الإنسان حين تستند تربيته إلى غير أمه.

وتضيف الأزرق بأنه إذا ما استخدمنا ما يسمى بالميزانية الزمنية في تقدير أعمال المرأة داخل البيت، لوجدنا أنها تبذل وقتها وجهدها بدون حساب، وبدون مقابل مادي، في حين أنها تصنف ضمن غير العاملين. وهذا الإغفال هو الذي أدى إلى المناداة بمشاركة المرأة في التنمية وخروجها إلى العمل، وكأنها لم تسهم فيه منذ أن خلق الله الإنسان، في حين هي تمثل في الحقيقة أحد أسس التنمية الثلاث: المادة، والتقنية والإنسان. فقد جعلها الله وسيلة لإيجاد الإنسان، ومربية له، وساهرة على رعايته، ومن ثم وجب تصحيح النظر إلى مهمتها [1] (الأزرق في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص٧٦٥).

وما قالته الأزرق هو عين ما ينادي به علماء الاقتصاد في الوقت الحالي، حيث يرون بأن النمو الاقتصادي هو هدف وسيط أو شرط لازم للتنمية الاقتصادية؛ لكن الهدف النهائي لها هو التنمية البشرية (عمار في العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ٤٤٩، ص ٦٨).

ومن هنا جاءت دعوة علماء الاقتصاد إلى الاهتمام بالتعليم باعتباره أهم العناصر الفعالة في إعداد القوى البشرية الملائمة لمطالب التنمية (شكاره، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٢٧٤).

وحيث إن المقصود بالتنمية هو " رفع محصلة المعارف العلمية والتقنية، وبالتالي دفع القدرات الإنتاجية لمجتمع ما لتصبح مسايرة للعصر وغير متخلفة عنه، ومتوازنة،

---

(١) أقيم في مدينة بوينس أيرس بالأرجنتين، المؤتمر العالمي الأول لربات البيوت من أجل مناقشة " الطلبات المتغيرة للنساء في المنزل". وقالت (ليتا دي لازاري) رئيسة رابطة ربات البيوت والتي قامت بتأسيس الاتحاد الدولي لربات البيوت: " إن أعضاء الحركات النسائية، والشاذات جنسيا كلهن يشغلن المسرح، ومن ثم فلماذا لا نفعل نحن ذلك أيضا " وقالت أيضا: " إن هذا الاجتماع يمثل بدء حملة للاعتراف بمهمة ربة البيت. " وإن " أفضل وزير اقتصاد في العالم هو ربة المنزل." وقد حضر المؤتمر ربات بيوت من ١٤ دولة من بينها روسيا وألمانيا والأراجواي. (ربات البيوت يعقدن.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٤).

ومتجاوبة مع متطلباته وطموحاته الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية " (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٣)؛ فإن الأمر يقتضي من التربية أن تعمل على تنمية قدرات المرأة المسلمة المعاصرة ومهاراتها الحركية والعقلية والنفسية بشكل متكامل، بحيث يتضمن ذلك تدريبها على استخدام التقنية الحديثة بكفاءة تمكنها من الإحسان في أداء مهمتها الأولى المتمثلة في إعداد العناصر البشرية اللازمة لعمارة الكون (التنمية)، وتفيدها أيضا في حالة الاضطرار إلى ممارسة أي نوع من المهن.

وبذلك يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة أن تسهم في تقوية الأمة الإسلامية، ودفعها نحو التقدم بعيدا عن التخلف الذي ترسف فيه، سيما وأن قوة الأمم، كما يوضح عفيفي - قد أصبحت اليوم لا تقاس بعدد الأفراد بل بنوعياتهم وقدرتهم على تحويل كل ما حولهم إلى قوة؛ وذلك بما يتوافر لديهم من قيم خلقية ومهارات اجتماعية وطاقات فكرية، بحيث يكون لديهم من البصيرة والإيجابية في تناول الأمور ما يمكنهم من مواجهة التحديات المختلفة والارتقاء إلى مستوى العصر الذي يعيشون فيه فيفهمونه، ويعملون على مزيد من الانطلاق لأنفسهم ولمجتمعهم (عفيفي، د. ت، ص ٤).

وبذلك تبتعد التنمية الاقتصادية عن أن تكون على حساب التنمية الاجتماعية، كما هو الحال في الدول الغربية التي تحققت لديها التنمية الاقتصادية على حساب إنسانية الإنسان.

لقد بالغت الحضارة الغربية في قيمة وجدوى مؤشرات النمو الكمي في الجانب المادي، وما يتضمنه ذلك من تقدم تقني بغض النظر عن محتوى هذا النمو ونتائجه، وتم تصدير هذا التحيز إلى دول العالم الثالث - ومن بينها الدول الإسلامية - داخل نظريات التنمية. وجاء رد الفعل مع شيوع مفهوم التنمية المركبة، وابتداع مؤشرات جديدة وعديدة من أجل قياس النجاح في التنمية، بدلا من الاعتماد على مؤشر واحد، وهو معدل النمو في النتائج الكمية. (وثيقة الاستراتيجية العربية..، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٤٣، ص ٤٨).

وقد أثبتت التجارب التاريخية أن التنمية المركبة الناجحة قد اعتمدت دوما على الإرادة المستقلة بحيث تمحور التنمية حول نفسها، وهو ما يجب أن تسعى إليه الدول الإسلامية بحيث لا تقتصر على مجرد الرفض السلبي للتبعية؛ بل تعمل على بناء نموذج

نظري يحدد مضمون التنمية المستقلة التي تسعى إليها (وثيقة الاستراتيجية العربية..، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٤٣).

فالدول الإسلامية باعتبارها - من الدول النامية - بحاجة إلى التنمية التي تشتمل على نمو وعلى تغيير قوى يدفعها للخروج من حالة الركود والتخلف الذي ترسف فيه.

ومفهوم التنمية المركبة يخالف مفهوم الحضارة الغربية ويطرح قضية التنمية في حجمها الحقيقي الذي ابتعدت عنه الدول الإسلامية لفترة طويلة نتيجة للانبهار بالحضارة الغربية وما يصدر عنها من أفكار وقيم، وارتبط بذلك ابتلاع مقولة تخلف العالم الثالث ليمتد من القدرات الاقتصادية بحيث يشمل اعترافها بتخلفها في المجالات كافة، الأمر الذي أدى إلى إهدار الثروة الحضارية الهائلة من القيم والسلوك التي تملكها، وأدى إلى الاغتراب عن الأهل وعن الذات بحجة القضاء على التخلف وإحداث التنمية، والإصابة بعقدة نقص رهيبة إزاء التقنية الوافدة، فكان أن انقطعت الصلة بين الإنسان وبين المفهوم الحقيقي للتنمية، والذي ينص على أن:

" الإنسان هو الذي يبدع التنمية التي تساعده في حياته والتي تتفق مع أهدافه وبيئته، ولا يعني ذلك حصرا أن ينتج المجتمع كل ما يحتاجه؛ فقد يستورد بعض احتياجاته التي لا يرى مصلحة في إنتاجها بنفسه، ولكن القضية الجوهرية هي أن يعرف أسرار العملية في كل الأحوال؛ سواء عند إنتاج التقنية بنفسه أو عند استيرادها، وحينئذ يكون في موقع التحكم عندما يقرر ويختار" (وثيقة الاستراتيجية العربية..، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٤٧).

وهذا الانقطاع في الصلة قد أدى بالإنسان المسلم إلى:

١- الشعور بالاغتراب.

٢- الشعور بالإحباط واليأس والدونية أمام التقنية وأصحابها.

فكان من الطبيعي أن يتوارى مفهوم الفعل الاجتماعي المنشئ للتنمية وأدواتها؛ الأمر الذي جعل الأدوات تصبح هي المنشئة للتنمية، بحيث يحور كل شيء في البناء والسلوك ليتلاءم معها، (وثيقة الاستراتيجية العربية..، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م، ص٤٧).

وهكذا تخبط المسلمون في سياسات اقتصادية منقولة عن الغرب، ومن ثم لم تحدث

لديهم تنمية حقيقية؛ لأن التنمية المنقولة قد اقتصرت على مجرد نقل نتائج التقنية الغربية دون إدراك لأسرارها؛ مما ضمن للغربيين أن تكون الدول الإسلامية أسواقا لمنتجاتها، ولأفكارها أيضا.

فقد جاء في الإستراتيجية العربية للتنمية الشاملة ما ينص على:" أن تقليد الغرب في أنماط التحديث يصل في الحد الأدنى إلى جعل النمو الاقتصادي هدفا للتنمية في حد ذاته، وتطبيقه عمليا يصل في حده الأقصى ليس إلى تقديس هذا المفهوم الغربي عن النمو فحسب، بل إلى تقديس ما أنتجه والأخذ بإفرازاته من أنماط استهلاكية وحياتيه مشوهة.." (وثيقة الاستراتيجية العربية..، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٤٩).

إن ما جاء في هذه الإستراتيجية ليؤكد على أهمية التوجه المستقل المرتبط بمفهوم التنمية المحورة حول ذاتها، والمواجهة للقوى المحلية والخارجية التي تسعى إلى عكس هذا الاتجاه. وهو اتجاه يرتبط بالضرورة بإرادة الفعل الاجتماعي وكفاءته، بحيث تستمد التنمية مشروعيتها من عقيدة الأمة ونظرتها للنفس وللآخرين وللكون، وتلتزم بالقيم الإسلامية، وبمعايير السلوك، وأنماط الحياة الملائمة للمجتمع المسلم.

فكل ذلك يحدد نمط التنمية الاقتصادية المطلوبة والتي يمكن أن تشارك فيها المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تعدها التربية بما يؤهلها للاندماج في عملية الأخذ والعطاء، ولا تكون مشاركتها مجرد مظهر لتحديث المجتمع أو محاكاة أنماط التطور في المجتمعات الصناعية، بل يستفاد من طاقاتها الكامنة من أجل إثراء حياتها وحياة من حولها، بحيث لا يقتصر الأمر على مجرد المطالبة بحقوقها المشروعة التي حرمت منها، بل يمتد ليشمل التزامها بأداء مسئوليتها نحو مجتمعها في مختلف أدوارها على أحسن وجه.

وقد أظهرت التجربة في كثير من البلدان أن الاستثمار في تعليم المرأة، يؤتي ثمارا مهمة في النمو الاقتصادي، وفي تحسين الصحة، ونوعية حياة كل من الرجل والمرأة على حد سواء [1]، وأن السياسات العامة، والمبادرات الخاصة التي تراعي مهارات المرأة

---

(١) يرى خالد القشطيني بأن سر الازدهار الاقتصادي لدول الشرق الأقصى يعود إلى قوة الروابط العائلية لشعوبها والذي انعكس أثره على معاملها وشركاتها الكبرى التي تعمل ضمن ما يشبه التعامل العائلي، وأن ذلك يمثل أيضا سر تخلفنا، لما يشوب حياتنا العائلية من خصومات وغيرة وأنانية تدفع بالأخ إلى الفتك بأخيه، والابن إلى قتل والده، والزوج إلى طلاق زوجته. فالمرأة هناك هي أساس الحياة العائلية، واللبنة الأولى في المجتمع من حيث النفوذ والدور في تقويم العائلة، وهي كذلك في المجتمعات اليهودية.=

وإمكاناتها؛ بتوفير الموارد والفرص التي تحتاجها لإخراج نفسها من الفقر، يمكن أن تساعد في توفير أساس لتحقيق نمو اقتصادي فيه إنصاف.

(الأعمال التحضيرية للمؤتمر العالمي الرابع للمرأة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص١٠، ص١٢).

ومع تصاعد أهمية الكفاءة الإنسانية في العصر الحديث، فإنه يصبح من واجب التربية أن تعمل على الحد من النزعات الاستهلاكية التي تشيع بين النساء؛ وذلك من خلال أخذ الخطط التنموية العامة بعين الاعتبار عند تخطيط النظم التعليمية والمناهج الدراسية والبرامج التربوية بصفة عامة، بحيث تعمل على تنمية قدرات المرأة ومهاراتها بما يمكنها من الإسهام في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ضمن الإطار العام لمبادئ التربية الإسلامية.

ونؤكد هنا على أهمية مراعاة مبادئ التربية الإسلامية من أجل تفادي الإفراط في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة للعمل خارج المنزل بعيدا عن مهمتها الأساسية، وكذلك تفادي إخضاعها للأعراف والتقاليد التي قد تجعلها تحجم عن - أو تحول بينها وبين - المبادرة دون داع بحيث يكون هناك توازن في تناول الأمور يكفل إحسان المرأة في أداء ما عليها من مسئوليات قبل التفكير في أداء أية أنشطة إضافية.

ولابد للتربية من أن تولي المرأة الريفية عناية خاصة؛ حيث إنها في الوقت الحالي تبذل جهودا كبيرة في مجال الإنتاج الزراعي إلى جانب قيامها بالأعمال المنزلية وشغل أوقات فراغها ببعض الأشغال اليدوية (بدري، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤٩).

ولكن مع كل ذلك يبقى نشاطها الاقتصادي ضعيفا لا يحقق الإنتاج الذي يمكن أن توفره إذا ما وجدت التعليم والتأهيل اللازمين للانطلاق بطاقاتها وتحريرها من كل القيود التي تكبلها في ظل الأعراف والتقاليد التي ليست من الإسلام في شيء.

إن التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تتضمن ما يحقق الأهداف العامة للتربية الإسلامية هي السبيل الأمثل للنهوض بالواقع الإسلامي والقضاء على أمراضه وتخلفه. لكن ذلك لا يمكن أن يحدث بدون إحياء الروح الإسلامية واليقظة الدينية لدى المرأة

= فالصناعة في دول الشرق الأقصى " لا تعمل بقوة الفحم أو النفط، ولا الكهرباء أو الذرة. إنها تعمل بقوة العائلة " (القشطيني في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٢٢٩).

المسلمة المعاصرة بما يستثير طاقاتها ويولد لديها الحماس الذي يدفعها للعمل من أجل إحداث التغيير المطلوب بعد أن تدرك أن إيثار الدنيا إنما هو من صفات الأمة الميتة التي يتوقف اهتمام إنسانها على الدنيا وشهواتها دون تفكير في أمور الحياة والنشأة والمصير، وبعد أن تعي تحذير الرسول ﷺ لأمته من فتنة المال التي قد تصل بصاحبها لأن يكون عبدا للأشياء، كما جاء في الحديث:" تعس عبد الدينار، تعكس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة..."[1].

فالقطيفة هنا رمز للأثاث والخميصة هي اللباس، ومسلمة اليوم - إلا من رحم الله وهن قليل - هي أكثر من ينطبق عليها هذا الوصف.

وأهم ما يجب على التربية أن تؤهل المرأة المسلمة المعاصرة له؛ هو كيفية التخطيط والتنفيذ لمسئولياتها الأساسية داخل المنزل عن علم ودراية، وكيفية التوفيق بينها وبين لمسئولياتها خارج المنزل إذا ما أتيحت لها الفرصة بذلك.

ثانيا: المرأة والاستهلاك:

مع تطور وسائل الإنتاج في بداية القرن الحالي، فتحت أسواق جديدة لمنتجات العالم الصناعي في دول العالم الثالث، الأمر الذي أوقع الأخيرة في قبضة التبعية، ومن ثم تخلفت - وفي زمرتها غالبية المسلمين - تخلفا رهيبا.

ويقرر مالك بن نبي أن الفكر الإسلامي قد عجز منذ قرون عن إدراك حقيقة الظواهر؛ حيث لم يكن يرى منها سوى قشرتها، فأصبح عاجزا عن فهم القرآن واكتفى باستظهاره، حتى إذا ما انهالت منتجات الحضارة الأوربية؛ اكتفي بمعرفة فائدتها إجمالا دون نقد للقيم المصاحبة لها، واكتفى بالحصول عليها، دون معرفة لكيفية إبداعها. فكانت المرحلة الأولى من مراحل التجديد في العالم الإسلامي تتمثل في التطور الكمي، و(الغرام) بكل ما هو جديد، والذي انتشر في جميع طبقات المجتمع (ابن نبي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٥٩).

وفي غمرة الانبهار بالتقدم الغربي، لم يتنبه المسلمون إلى أنه كان الأجدر بهم أن يقتبسوا من الآخرين ما يساعدهم على تحقيق غاياتهم ويتفق مع إمكانياتهم؛ متتبعين في ذلك خطى

---

(١) انظر نص الحديث ص ٤٨.

المجتمع الإسلامي الأول الذي انفتح على مجتمعات متقدمة، فأخذ من عاداتها وتقاليدها بعد اختبار واختيار بين بدائل مختلفة. لكنهم ومع الأسف وقعوا في مصيدة الغرب الاستهلاكي الذي يعمل على الترويج لبضائعه، والتعميم لقيمه بكل سبيل.

وقد وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأن وجودنا في موقع الاستهلاك، هو من نعم الله علينا حيث جعل الأعداء في خدمتنا، غير مدركين أن هذا الاعتقاد هو من معطيات التخلف والانحطاط، والتدين المغشوش المغاير للمسيرة الحضارية الإسلامية، وإنجازاتها في مختلف الميادين (حسنة في مقدمة النجار، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

ونجد أن عبارة عدم التغرب قد أصبحت لدى بعض المسلمين في عصرنا الحاضر مساوية لعدم التحضر، والمقصود بالتغرب هو استهلاك المنتجات الغربية الفارغة من أزياء وعطور وأثاث وديكور (عبد العظيم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣، ص ١٤٦).

و قد انسحب ذلك أكثر ما انسحب على المرأة المسلمة المعاصرة التي أصبحت أكثر (تحضرا) منها بالأمس وذلك بالماكياج والأثاث والسيارة بل وحتى اللغة، حيث أصبحت منبهرة بكل ما هو غربي وفاقدة للإبداع وأسيرة للدعايات. وبذلك أسهمت إلى حد كبير في توفير سوق هائلة لتصريف المنتجات الغربية.

فالمرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - لم تكتف باقتباس أفكار ومفاهيم المرأة الغربية الخاصة بالتحرر والمساواة.. إلخ؛ بل اقتبست أيضا مظهرها الخارجي،حيث إنطلقت وراء الموضة والاستهلاك دون وعي أو تفكير.

وفي ذلك يقول بو علي ياسين:

"... هكذا وجهت فئة من النساء العربيات أنظارها نحو الغرب الرأسمالي..... انفتحت مثل وطنها المتخلف التابع، وانطلقت تلهث وراء الموضة والاستهلاك. وفي هذا اللهاث رمت ورائها تراثها الأنثوي العربي، حتى الثياب العربية الجميلة؛ ارتبطت في ذهنها بالتخلف والعبودية والجهل. هكذا أصبحت مستوردة مثل اقتصاد بلادها، مقلدة غير مبدعة، جسمها في الوطن وروحها في الغرب. وفي هذه الغربة الروحية فقدت الأمان الأنثوي الذي كان لأمها وجدتها. أصبحت المسكينة تتنشق الأخبار البعيدة عن آخر التطورات في عالم الزينة والموضة والديكور والإتيكيت. تخاف أن يحدث شيء لم تسمع به، فتصبح متخلفة عن الركب السريع " (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٤٢).

وهكذا انساقت المرأة المسلمة المعاصرة في تبعية عمياء لكل ما هو مستورد، وكبلت نفسها بقيود ترتبط بالمستوى الغريزي الأول، وأصبحت غير قادرة على التفلت منها، خوفا من أن تتهم بالتخلف والرجعية.

١ - من هي المرأة الاستهلاكية؟:

إن النظرة الفاحصة إلى مجتمعاتنا توضح لنا أن أكثر النساء إتباعا للأنماط الاستهلاكية هن المترفات، وهؤلاء وإن كان عددهن قليلا إلا أنهن الأكثر تأثيرا على غيرهن، ويساعدهن في ذلك وسائط الثقافة المتغربة التي تدفع بالكثيرات من ذوات الدخول المتوسطة والمتدنية إلى تقليدهن.

فهذه الفئة من النساء نجدها تشغل أوقاتها بأعباء المنزل، وترتيب الولائم والدعوات من أجل المجاملات، ومظهرها خير دال عليها. فهي من خلال الملابس والساعة والحذاء تبلغ من حولها عن مكانتها الاجتماعية دون حاجه إلى الكلام [1]. وعلى الرغم من أن من بينهن من لا تعمل خارج المنزل إلا أنهن حريصات على الخدم، أما تنشئتهن لبناتهن فمنتهى غايتها الزواج، وإذا ما شاركن في الأنشطة الاجتماعية كالجمعيات مثلا؛ فإنهن ينطلقن في ذلك من خلال تصورهن لها كعروض للأزياء، واستعراض للأثريات... وهكذا. (عبد المعطي، في مؤتمر المرأة والتنمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧٣٢ - ٧٣٤ / مرسى، ص ٧٢٣ - ٧٥٤).

وتشير سهام القحطاني إلى أن هناك فئة من المسلمات المعاصرات لدينا يفكرن بمنطق تثمين الشكل الخارجي بدءا من لون الشعر ونهاية بحقيبة اليد ذات السعر العالي، وتصل المبالغة في التبعية العمياء للغرب لدى بعض النساء إلى درجة ارتداء قبعات للرأس تحولهن " دون مسوغ إلى رسم كاريكاتيري لامرأة أوروبية "، في حين نجدهن مفتقدات لمقاييس التحضر السلوكي، وأسلوب التفكير، والرؤية العميقة لبواطن الأمور (القحطاني في عكاظ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٣٨٨).

---

(١) وجد من خلال استطلاعات الرأي العام، أن هناك إجماعا على أن المنتجات الفاخرة تمثل الأسلوب الوحيد للتميز عن الآخرين، وأن ذوي الدخول المتوسطة قد باتوا يشكلون قوة شرائية مهمة في هذا المجال لتعريف الآخرين بانضمامهم للنخبة (ملحق التسوق في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م،ع ٥٨٩٩).

٢- العوامل التي تساعد على وقوع المرأة في أسر الاستهلاك:

يقرر توفلر أن المرأة تبدأ في تعلم الأنماط الاستهلاكية منذ الصغر، حيث تستبدل دميتها العادية بأخرى محسنة تقنيا؛ الأمر الذي يجعلها تدرك أن علاقاتها بالأشياء لا تدوم. وعلى نفس الوتيرة تتلقن ثقافة التخلص من الأشياء وذلك من خلال التخلص من كثير من أمور المنزل؛ كالمحارم والمناشف والمناديل الورقية وزجاجات المشروبات، وصواني الكعك وأكياس البلاستيك (توفلر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٥١ - ٥٤).

وهناك كثير من العوامل التي تلعب دورا كبيرا في إغراقها في الاستهلاك والتي يمكن تقسيمها إلى:

١- عوامل اقتصادية. ٢- عوامل نفسية. ٣- عوامل ثقافية.

أ- العوامل الاقتصادية:

أبرز العوامل الاقتصادية التي تشجع المرأة على الاستغراق في الاستهلاك تتمثل في:

١- زيادة الدخل.

٢- التسهيلات المصرفية.

١- زيادة الدخل:

إن زيادة دخل الإنسان عن حاجته ومصروفاته الضرورية ترقى بالحاجات الثانوية لتصبح في مرتبة الضروريات. ونجد الدكتور محمد المطوع وكيل كلية الآداب في جامعة الإمارات يؤكد على أن حدة الاستهلاك في الدول الإسلامية الغنية؛ قد زادت نسبتها مع ارتفاع دخل أفرادها أيام الطفرة الاقتصادية (كل الأسرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م، ع ١٦، ص ٢٥).

٢- التسهيلات المصرفية:

وهذه تساعد المرأة على الاستغراق في الاستهلاك بما تتيحه لذوي الدخل المحدود من فرص ممارسة الاستهلاك بصورة تغطي وضعهن الاجتماعي الحقيقي، وذلك عن طريق الاقتراض الذي يجعلهن يجارين الغنيات والمترفات في المظهر (كل الأسرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م، ع ١٦، ص٢٥).

ب- العوامل النفسية ومن أبرزها:

١- **الفراغ الذي تعاني منه المرأة**: وخاصة الغنية التي قد تلجأ إلى الأسواق لتعوض إحساسها بالفراغ حيث يمنعها قصور تفكيرها من توظيف وقتها فيما يفيد، سيما وأن جلسات النساء عادة ما تفيض بالحديث عن آخر خطوط الموضات، فتجدها تحاول تأكيد مكانتها من خلال المظهر.

٢ - **التعويض عما تعانيه من كبت**: فحيث إن المرأة المسلمة المعاصرة في كثير من البيئات تحصر ضمن نطاق ضيق يمنعها من الاستفادة من قدراتها وطاقاتها ضمن الإطار المشروع، فإن ذلك يدفعها إلى البحث عن البديل الذي يهديها إليه قصور تفكيرها وهو الاستهلاك.

ويصف بو علي باسين، حالة المرأة المستهلكة فيقول: " فهي تعيش كابنة القرن التاسع عشر في نهاية القرن العشرين، حيث تصل إليها آخر خطوط الموضة فهي مستهلكة غير منتجه، منفعلة غير فاعلة، تجد في تقليدها الجنوني للمرأة الغربية تعويضا عما تعانيه من كبت " (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٦٣ - ١٦٤).

٣-**الرغبة في إرضاء الآخرين**: فمن بين النساء من تعمد إلى الاستغراق في الاستهلاك بدافع إرضاء رغبات الآخرين فنجدها - رغم عدم قناعتها بما تفعل - تعمد إلى مجاراتهن في أنماطهن الاستهلاكية، ومن ذلك شراء ما لا يعجبها من أزياء وغيره؛ فهي تجاري الأخريات خوفا من أن تتهم بالتخلف أو البخل.

ج- العوامل الثقافية:

وهذه تلعب وسائط الثقافة المختلفة دورا كبيرا فيها؛ حيث تعمل على تشجيع المرأة على الاستغراق في الاستهلاك بطرق كثيرة من أبرزها:

١ - الدعايات التجارية:

أصبحت الدعايات اليوم تمثل جزءا لا يتجزأ من التجارة، وأصبح العمل الذي لا يقترن بها محكوما عليه بالفشل مهما كانت درجة إتقانه، في حين أن الدعاية الناجحة كفيلة بإنجاح أي مشروع، حتى وإن كان يعتوره قصور في بعض الجوانب.

ويكفي دليلا على ذلك ما ذكره عالم فرنسي شغل منصب مدير هيئة بحوث الأغذية والطعام الإفريقية في كتاب له بعنوان " العوامل المؤثرة في أنماط التغذية"، حيث ذكر أنه أجرى بحثا عن تغذية الأطفال في ساحل العاج، فوجد الأمهات يسقين القهوة لأطفالهن ممن تقل أعمارهم عن عشرين شهرا، فلما سأل عن ذلك أجابه أحد الطلبة في دهشة من جهل السائل:

" ألم تقرأ أو تسمع العبارة التي تتكرر كل يوم في الإذاعة بأن البن الذي تنتجه شركة معينة؛ يجعل الرجال أكثر قوة والنساء أكثر مرحا، والأطفال أكثر ذكاء".

وكان ذلك الإعلان قد صدر عن شركة أطعمة أمريكية أنفقت خلال عام ١٩٧٢ مبلغ ١٢٥ مليون دولار أمريكي على الإعلان وحده؛ أي بما يزيد بـ ٤٣ مليون دولار عن ميزانية منظمة الصحة العالمية (عبد العظيم، ١٤١٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٤٧).

وهكذا تلعب الدعاية دورا كبيرا في تغيير أنماط الحياة المعيشية بأساليبها الجذابة والمشوقة التي تدفع بالمستهلك إلى تجريب معروضاتها.

ويشير كجك إلى أن معظم السلع المعلن عنها لا حاجة حقيقية بالمستهلك إليها، لكن الإعلان يغرس في النفس شعورا بالحاجة إليها والحرص على تجربتها أو مشاهدتها في المتاجر الكبيرة، بحيث يجد المرء نفسه مدفوعا إلى تجربة الجديد من أجل المفاضلة [1] (كجك، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ص ١٥٤).

ونجد القائمين على الإعلانات يستخدمون كثيرا من الأساليب التي تخدع بواسطتها المرأة فتعمد إلى الإسراف في الشراء والاستغراق في الاستهلاك، ومن هذه الأساليب:

١- ارتفاع سعر السلعة:

إن جهل المرأة بأساليب الشراء يمكن أن يتسبب في انخداعها بالسعر العالي، حيث تعمد إلى شراء الأشياء ذات السعر المعتدل بمبالغ باهظة من محلات تدعي بأنها لا تبيع

---

(١) أنشئت في ألمانيا أول محطة تلفازية نسائية من قبل أحد أكبر دور النشر والإعلام والاتصالات. وقد أثبتت المحطة أنها مورد كبير لحصيلة الإعلان حيث زادت حصيلة الإعلانات خلال شهر واحد بنسبة ٩٠٪ بعد أن اكتشفت المؤسسات الألمانية مدى سهولة تصريف منتجاتها المختلفة عن طريق البيع عبر التليفزيون الذي تمارسه ربة المنزل وهي تستمتع بمشاهدة التليفزيون الذي يحول المرأة إلى مخلوق استهلاكي (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٤).

سوى الأشياء الفاخرة، حيث يعترف أصحاب المحلات بأنهم يرفعون سعر البضائع لأن النساء يقبلن على شراء الأشياء المرتفعة أكثر من الأشياء التي ينخفض ثمنها.

٢- شكل المادة المعروضة:

جاء على لسان محمود سعيد صاحب المصنع السعودي للعطور قوله: " إن شكل الزجاجة وعلبة العطر، يعد من العوامل المهمة التي تدفع المرأة إلى اقتناء عطر ما دون الآخر، وهذا ما يدفع الشركات إلى تصميم أشكال مختلفة من الزجاجات للعطور " (ملحق التسوق في الشرق الأوسط ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٨٩٩).

٣- أسلوب التخفيضات:

وهذا أحد فنون تسويق السلع من أجل تصريف البضائع التي تمتلئ بها المخازن والمتاجر، وهو في بعض الأحيان وسيلة من أجل تعزيز القدرة التنافسية وتعزيز المبيعات في السوق.

ويشير مدير أحد المحلات التجارية إلى أن أحد أسباب اللجوء إلى التخفيضات هي التصفية الشاملة والمحدودة والجزئية من أجل تصريف سلع وموديلات ركد الطلب عليها، وتكون ظروف تسويقها صعبة (ملحق التسوق في الشرق الأوسط ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٨٩٩).

ونجد النساء بصفة عامة حريصات على متابعة فترات التخفيضات خاصة للمحلات الشهيرة، الأمر الذي يجعلهن يندفعن إلى شراء ما لا حاجة حقيقية لهن به.

وهنا يكمن دور التربية في تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من الانخداع بالأساليب التي يستخدمها المروجون للسلع والتي تهدف إلى تحويلها إلى مخلوق استهلاكي لا هم له إلا إشباع شهواته في تبعية عمياء تعميها عن التنبه إلى حقيقة الهدف الذي خلقت من أجله والدور الذي يجب عليها أن تؤديه إسهاما منها في عمارة الكون، ناهيك عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي يخلفها التهالك على الاستهلاك على واقع حياة الأسرة.

وفي ذلك يقول جارودي:

"... إن مجتمع النمو يراهن مراهنة منظمة على صورة معينة للمرأة هي في كثير من الأحيان ابتكار ذكوري محض؛ مستحضرات التجميل، مزيلات روائح الجسم، مواد لتخفيف الوزن، ونماذج حياة تقترحها السينما والتليفزيون بالاعتماد على النمط المعيشي

المعقد والمبلبل لبعض نجوم هوليود، اللواتي يوفرن دعاية حية " لأنماط من الحياة ومن البذخ والترف الموقوفة على أقليات متطفلة ". ونتائج هذه المحاصرة الإعلامية ليست اقتصادية فحسب بل تنسحب على العلاقات الإنسانية بما فيها أكثر العلاقات حميمة على صعيد الأسرة (جارودي وآخرون، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٢٢).

ومن أجل تحذير المرأة من الانخداع بالأساليب الدعائية، ينبغي على التربية أن تنبهها إلى السلبيات وفي الوقت نفسه لا تغفل الإشادة بالإيجابيات، بحيث تعلم المرأة كيف تتأثر بالإعلانات تأثرا إيجابيا يفيدها في واقع حياتها المعاش.

وقد أشارت كوجك إلى بعض هذه السلبيات والإيجابيات والتي نوردها فيما يلي:

أ- من سلبيات الدعايات:

١- أنها قد تخلق رغبات غير حقيقية لدى المستهلك.

٢- أنها تعتمد على خصائص مبالغ فيها للسلعة.

٣- أنها تركز على الدوافع والمؤثرات العاطفية ولا تخاطب العقل والمنطق.

٤- أنها قد تتضمن معلومات غير صحيحة.

٥- أنها لا تعطي معلومات كافية عن السلع، بل تركز على المعلومات التي تدفع بالمستهلك إلى الشراء.

ب- من إيجابيات الدعايات:

١- أنها تعطي معلومات عن سلع وخدمات جديدة.

٢- أنها تدل على مكان الحصول على السلع، فتسهم في توفير الوقت والجهد.

٣- أحيانا تعطي أفكارا جديدة لاستخدام سلع معروفة.

٤- تؤدي إلى تنافس المنتجين في تقديم أحسن الخدمات.

٥- تؤدي أحيانا إلى تخفيض الأسعار.

(كوجك، المرجع في التربية..، د.ت، ص ٤٥٨)

٣- الأوقات التي يكثر فيها الاستهلاك:

إلى جانب فترات التخفيضات، فإننا نجد أن شهر رمضان المبارك، يعد الشهر الذي يكثر فيه الاستهلاك في غالبية المجتمعات الإسلامية. فبدلا من أن يكون هذا الشهر فرصة للأغنياء من أجل تذكر إخوتهم من الفقراء، والعمل على إمداد العون لهم؛ فقد أصبح رمضان يمثل الشهر الذي يكثر فيه التهالك على الاستهلاك حيث تتغير أنماطه كما ونوعا عن الأنماط السائدة في بقية شهور السنة.

وتشير إحدى الدراسات التي أجريت في أحد المجتمعات الإسلامية الغنية إلى زيادة عامة في الإنفاق الشهري الأسري تتراوح ما بين ٥٠٪ إلى ١٠٠٪ عن الإنفاق في الشهور الأخرى. وهذه الزيادة لا تشمل المبالغ الأخرى التي تصرف في نهاية الشهر على قطع الأثاث، أو الأجهزة المنزلية، أو هدايا العيد (ملحق التسوق في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع٥٨٩٩).

٤- دور التربية في ترشيد الاستهلاك:

يمكن من خلال التربية الإسهام في ترشيد الاستهلاك في المجتمع المسلم المعاصر بالتوجه إلى المرأة المسلمة المعاصرة باعتبارها اللبنة الأساسية وذلك من خلال توعيتها بأهمية الحد من الاستهلاك الذي يحولها إلى مخلوق لا هم له إلا شهواته، وبخطأ إتباعها للمرأة الغربية في أنماطها الحياتية.

ولابد أن تعى المرأة المسلمة المعاصرة أن المجتمعات الغربية لم تصل إلى مرحلة الاستهلاك إلا بعد أن قطعت مراحل عديدة في التصنيع والإنتاج؛ و من ثم فإن تغيير تخلف المجتمعات المسلمة لا يكون بالتهالك على الشهوات؛ بل بامتلاك إنسانها للصفات المؤهلة للتقدم، وأهمها الاقتصاد والاعتدال والانضباط في استخدام الموارد (زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٩١).

كذلك ينبغي الاهتمام بتنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى المشكلات المختلفة التي أفرزها الاستهلاك في واقع المجتمع المسلم في مختلف المجالات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

وقد أشار النجار إلى بعض هذه المشكلات نذكر منها:

١- التخلف العام للمجتمع.

٢- انهيار الاقتصاد.

٣- تراكم الديون.

٤- تضاؤل الاهتمام بقضايا العلوم والتقنية حتى فيما هي في أمس الحاجة إليه من أجل مقاومة الكوارث التي تحل بها، أو توفير المأوى، أو الغذاء (النجار، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٤).

ويؤكد توفلر هذه الحقيقة بإشارته إلى أن انغماس بعض المجتمعات الإسلامية في الاستهلاك يتصادم مع حقيقة الفقر الذي تعاني منه كثير من المجتمعات الإسلامية [١] (توفلر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٥٤).

فالتربية هي التي تنبه المرأة المسلمة المعاصرة إلى حقيقة التكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن يشيع في المجتمع المسلم من أجل القضاء على جوانب التخلف فيه، وكيف أن ذلك إنما يمثل عقوبة حلت بالمجتمع المسلم بعد أن تخلى أفراده عن الالتزام بمبادئ إسلامهم.

يقول الأستاذ حوى: " ما من سنة ولا فريضة تترك إلا ويترتب على تركها عقوبة فطرية، وما من محرم يرتكب إلا وتترتب عليه عقوبة فطرية..." (حوى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣٣٨).

ونجد التوجيهات القرآنية والنبوية تحث على الاعتدال في كل شيء وتؤكد خاصة على الزينة والطعام والشراب.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

ويقول الرسول الكريم ﷺ: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة". (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٧، اللباس / ١، ص ٣٣).

---

(١) تذكر سهام القحطاني، وتبعا لبعض الإحصائيات الاقتصادية؛ أن المرأة في بعض الدول الإسلامية الغنية؛ هي من أكثر زبائن بيوت الأزياء العالمية، وأنها تعلم عن الأزياء الشتوية والصيفية وغيرها من الفصول أكثر مما تعلم عن أخبار المجاعات والحروب، بل وحتى أكثر مما تعلمه عن مآسي مجتمعها المحلي (القحطاني في عكاظ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٣٨٨).

لكننا وجدنا المسلمين يغفلون عن هذه التوجيهات، ويدل على ذلك ما نلاحظه عليهم من انغماس في الاستهلاك، حيث سيطرت عليهم الشهوات إلى درجة الطغيان، حتى دخلوا في حالة الوهن الذي أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله: " وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت " (أبو اود، د.ت، ج٤، الملاحم/ رقم ٤٢٩٧، ص ١١١).

فحب الدنيا قد تغلب على المسلمين رغم أن الرسول ﷺ قد حذرهم منه.

يقول ﷺ: " إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " (مسلم، د.ت، الزكاة/ ٤١، ج٢، ص ٧٢٩).

وهكذا انغمس الفرد المسلم - ذكرا وأنثى- في الاستهلاك الذي حال بينه وبين إدراك الهدف الأساسي من وجوده، وهو العبادة. وبذلك انحصر همه في إشباع الكيان المادي لجسمه دون أن يتجاوزه إلى الجانب الروحي، ومن ثم استحق المسلمون المنزلة التي هم عليها الآن، حيث التخلف والانحطاط بسبب التكالب على الدنيا بعد العز والرفعة التي كانوا عليها حين كانوا يبتغون الآخرة.

يقول الرسولﷺ: " من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له " (الترمذي،د.ت، ج٤، القيامة/ ٣٠، ص٥٥٤).

كذلك ينبغي – من خلال التربية – العمل على توجيه أفراد المجتمع المسلم - ذكورا وإناثا - إلى أن بقاءنا في حالة التبعية يزيد من استغراقنا في الاستهلاك ويدفع الآخرين إلى بذل كل ما في وسعهم والإلحاح علينا من أجل شراء ما لا نحتاجه حتى نغرق في الديون.

فالأمر يحتاج إلى تربية أفراد المجتمع - ذكورا وإناثا - على الاستغناء عن الكماليات والترفيهات التي لا حاجة حقيقية لها، وضبط النفس من خلال القناعة والزهد.

ونجد علم الاقتصاد المنزلي؛ يقرر أن هناك فرقا بين مستوى الاستهلاك ومستوى المعيشة. فمثلا من يقضي وقته في قراءة كتب تافهة، ليس كمن يقضيه في قراءة كتب قيمة، على الرغم من أن كليهما يستهلك وقته (درية أمين، د.ت، ص٧٤).

ويتحدد مستوى المعيشة تبعا لعادات الأسرة وتقاليدها ومدى استفادتها من التقدم العلمي والصناعي في حدود إمكاناتها المادية (درية أمين، د.ت، ص٧٤).

وهنا يكمن دور التربية في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة لكي تحدد لنفسها وأسرتها المستوى المعيشي المناسب، وتمدها بالتأهيل الفكري اللازم الذي يمنعها من التطلع إلى ما لدى الآخرين، ومحاولة مجاراتهم، وتحمل مسئولية ما ينتج عن ذلك من ديون ومشكلات.

ويقرر علم الاقتصاد المنزلي أيضا بأن مقارنة المرأة نفسها مع غيرها ينبغي أن تكون عادلة بحيث تكون مع أسرة من نفس المستوى والظروف والإمكانات المادية والمعنوية. فالمرأة التي لا تعمل خارج المنزل ينبغي أن لا تقلد غيرها في الاعتماد على الأطعمة والألبسة الجاهزة أو الإصرار على الخروج اليومي في زيارات، أو الإصرار على إحضار خادمة لا حاجة إلها...إلخ (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٧٤).

ونجد التربية الإسلامية توجه إلى ما هو أفضل؛ وذلك من خلال حثها للإنسان على النظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا، والتطلع إلى من هو أفضل منه في أمور الآخرة، وبذلك تحصل لديه القناعة والرضا بما هو فيه، والزهد عما في أيدي الآخرين مما لا يمكن الحصول عليه.

يقول الرسول ﷺ: " انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله..."(مسلم، د.ت، ج٤، الزهد، ص ٢٢٧٥).

كذلك ينبغي على التربية أن تنبه المرأة المسلمة المعاصرة إلى المضار التي يسببها الاستغراق في الاستهلاك على صحتها الروحية والجسدية.

فمن **الناحية الروحية** - وكما أشرنا سابقا- فإن الاستهلاك هو دليل على إيثار الدنيا وشهواتها، وهذا من صفات الأمة الميتة التي يتوقف اهتمام إنسانها على الدنيا وشهواتها دون أمور النشأة والمصير (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٩١).

والأمر المؤسف أن هذا الاستغراق في الاستهلاك نجده ظاهرا لدى المتعلمات وغير المتعلمات من النساء المسلمات على حد سواء، بل وأحيانا ما تفوق المرأة المتعلمة غيرها في هذا المجال، فنجدها تجري وراء آخر" الصيحات " في العطور والكماليات في مجال الزينة و"الإكسسوارات " [1]، ودهانات الشعر وأصباغه، وموضات الأزياء، بل وحتى السفر

(١) أصبحت الإكسسوارات تنافس أسعار المجوهرات الحقيقية، وأصبحت النساء يتبارين في اقتناء الجديد منها. تقول إحدى المعلمات، وهي كاتبة قصص:" أنا أكتب قصصا للأطفال؛ وعندما أحضرت هذه القصص= = إلى المدرسة التي أدرس فيها حتى تشتريها المدرسات لأولادهن؛ فاجأنني بالقول: " لو كان عندك إكسسوارات أو عطر لكنا اشترينا منك"(كل الأسرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م،ع ١٦، ص ٢٢).

أصبح من مظاهر الاستهلاك؛ حيث تعمد بعض المترفات إلى السفر فقط من أجل التسوق في الدول المتقدمة. (كل الأسرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ع١٦، ص٢٣).

كذلك فإن التفاخر بين النساء لم يعد يقتصر على أدوات الزينة العادية فقط؛ بل أصبح بعض النساء يفاخرن بما يجد في مجال التقنية مما يتيسر لهن الحصول عليه كالـ "بيجر" و" الجوال" (كل الأسرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ع١٦، ص ٢١).

أما من **الناحية الجسدية**، فإن الإسراف في الراحة مثلا يولد الكسل ويعطل الجسد عن أداء دوره في الحياة، والإسراف في الطعام والشراب يضر به، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ:" ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " (الترمذي، د.ت، ج٤، الزهد/ ٤٧، ص٥١٠).

وقد أشرنا سابقا إلى حرص التربية الإسلامية على تربية المؤمن القوي معنويا وماديا (روحيا وجسديا).

والقوة المادية (الجسدية) تحتاج إلى جسد خال من الأمراض، مما يقتضي إمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالمعارف اللازمة في علم الأغذية، لتتعرف على المفيد من غيره من الأطعمة والأشربة، وكيفية تقديم وجبات متكاملة تفي بالاحتياجات الغذائية لجميع أفراد الأسرة، وكذلك تعريفها بالأثمان وبأماكن بيع الأغذية من أجل مساعدتها على اختيار الجيد والثمن المعقول، وتنبيهها إلى أهمية الحرص على القوة الجسدية لجميع أفراد الأسرة حتى يتمكنوا من أداء مهامهم التي يسرها الله لهم في هذه الحياة.

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى وجوب شكر النعم، وعدم الكفر بها، والذي يمكن أن يحدث من خلال الإسراف في استخدامها أو استخدامها بطريقة غير مسئولة؛ بإلقاء بقايا الطعام مثلا.

ونجد السيدة ميمونة رضي الله عنها قد كانت تعتبر ذلك من الفساد؛ حيث روى أنها قد أبصرت حبة رمان على الأرض، فأخذتها وقالت: " إن الله لا يحب الفساد " (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص١٣٩).

ويعتبر ترشيد الاستهلاك ضمانا لحياة الأجيال القادمة، وهو أمر حث عليه الإسلام ووجه إليه الرسول ﷺ بقوله: "إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل" (ابن حنبل، د.ت، ج ٣، ص ١٩١).

ويقاس على ذلك تأمين حياة الأجيال القادمة من خلال الحفاظ على النعم من الزوال بترشيد استخدامها وأداء حقها في الشكر.

وتشير التوجيهات النبوية الكريمة إلى أن ترشيد الإنفاق يمثل بابا من أبواب الخير التي يوفق الله إليها من شاء من عباده. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: " إذا أراد الله عز وجل بعبيده خيرا رزقهم الرفق في معاشهم..." (المتقي، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ج١، ص١٤٣).

ويشير د. عبد المحسن صالح إلى أن المرأة يمكن أن تسهم في الاقتصاد من خلال قيامها بأعمال المنزل العادية وكذلك من خلال ترشيد الإنفاق وحفظ التوازن المادي للأسرة، والإسهام في رفع معدل الادخار والاستثمار من خلال ترشيد الاستهلاك غير الضروري، وخفض النفقات غير الضرورية، والابتعاد عن الإسراف، مما يؤدي إلى خفض الطلب، ومن ثم خفض التضخم الناتج عن زيادة معدلات الطلب بدرجة أكبر من الإنتاج، الأمر الذي يؤدي إلى رفع الأسعار [1]. (صالح في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤١).

٥- الآثار السلبية المترتبة على الاستغراق في الاستهلاك:

هناك عدد من الآثار السلبية التي تنجم عن الاستغراق في الاستهلاك، والتي ينبغي أن توجه انتباه المرأة المسلمة المعاصرة إليها، ومن هذه الآثار:

أ- فقدان المرأة للقدرة على الإبداع والابتكار:

فالمصانع تغرق الأسواق بكل ما تحتاجه المرأة مهما عظم أو قل شأنه. وبذلك تيسر للمرأة الحصول على كل ما تريد. وبمرور الوقت أسهم ذلك في فقد المرأة لموهبة الابتكار، والقدرة على التفكير العميق في احتياجات المنزل، كما أسهم أيضا في فقدها لكثير من المهارات التي كانت تتمتع بها جداتها. ويؤكد ذلك بو علي ياسين بإشارته إلى أن المرأة العربية في الريف و/ أو المدينة كانت من قبل تقوم بكثير من الأنشطة الاقتصادية مثل

(١) أشارت وثيقة مؤتمر بكين إلى أن السبب الرئيسي في استمرار تدهور البيئة في العالم يعود إلى أنماط الإنتاج والاستهلاك، وأنه لابد للتنمية الاجتماعية من تمكين النساء من استغلال الموارد البيئية بشكل مستدام من خلال تغيير أنماطهن الاستهلاكية (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٠، بند رقم٣٧).

تربية النحل، وجني العسل، وتربية دودة القز، واستخراج الحرير، والغزل، والنسيج، والخياطة، وصنع البسط والسجاد، وحفظ المواد الغذائية من فواكه وخضراوات وحبوب، وصنع كثير من الغذائيات مثل الحلويات والمعجنات والمربيات وغيرها (ياسين،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٢٨).

كذلك فقد أدت المنتجات الجاهزة إلى أن تفقد الأسرة لشخصيتها، حيث أصبحت كثير من المنازل صورا متكررة من حيث الأثاث والزينة، وأصبحت قليلات جدا من النساء هن اللاتي يحرصن على أن تكون لمنازلهن لمسات خاصة تبرز شخصياتهن.

ب- الوقوع في أسر الديون:

فالمرأة الاستهلاكية في اندفاعها المحموم وراء الاستهلاك؛ تنطلق في تبعية عمياء للشرق أو للغرب دون أن تنتبه إلى ما قد يجره عليها الاستهلاك من مشكلات.

ومن الأمور الشائعة في الغرب الاقتراض من أجل تمويل الإنفاق الاستهلاكي. وهذا الأمر انتقل مؤخرا إلى الدول النامية ومن بينها الدول الإسلامية. والمقلق في الأمر هو أن أسباب هذا الاقتراض لا ترجع إلى انخفاض الدخل أو الارتفاع الحاد في مستوى المعيشة الذي قد يبرر مثل هذا الاتجاه، بل ترجع إلى " تمويل نفقات استهلاكية غير أساسية، أو غير مبررة؛ مثل السفر، أو استبدال الأثاث، أو السيارة بموديل جديد " (مقدادي في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع٦٠١٧).

ج- الإسهام في إعاقة التنمية:

فلأن معظم الدول الإسلامية فقيرة، فإن متوسط الدخول منخفض، وحجم الادخار منعدم أو قليل، فإذا ما ظهر أي تحسن في الدخل، ذهب في زيادة الاستهلاك وليس للادخار أو الاستثمار وذلك من أجل تعويض الحرمان السابق، وكل ذلك له آثاره السلبية على التنمية (عبد العظيم، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص١٨٩).

ثالثا: دور التربية في تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على التخطيط والإدارة داخل المنزل:

أصبحت إدارة المنزل في العصر الحاضر، علما له قواعده وأصوله، ويكتسب من خلال التعلم والخبرة، ويشمل جميع المسئوليات الأسرية بمختلف مظاهرها الاقتصادية

والجسمية والنفسية.

وقد كانت إدارة المنزل فيما مضى تقتصر على الطهي والتنظيف وغيره من أمور المنزل العادية. أما الآن فقد أصبحت تعني:" استخدام كل الموارد المتاحة بأحسن السبل الممكنة للحصول على أقصى ما يمكن تحقيقه من فائدة " (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، ص ٥ ، ص١٠٣).

ويؤكد علم الاقتصاد المنزلي على أهمية التخطيط لإدارة المنزل، وذلك لدوره في القضاء على الارتجال والسطحية التي تأخذ بها ربات البيوت أمورهن الاقتصادية والاجتماعية في إدارة منازلهن، ويؤكد أيضا على أهمية الاستفادة مما توصل إليه العلم في مختلف المجالات من أجل النهوض بإدارة المنزل إلى أقصى حد ممكن، ومواجهة متطلبات الحياة المعاصرة ومشكلاتها وتحدياتها بكفاءة (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩، ص٥- كوجك، د.ت، ص٤٨).

وقد دلت البحوث على أن هناك علاقة وثيقة بين درجة تعليم وثقافة ربة البيت وطريقة إدارتها لشئون أسرتها؛ بمعنى أن القدرة على إدارة المنزل أمر مكتسب يأتي من خلال التعليم الذي تمثل الخبرة مصدرا كبيرا له (كوجك، د.ت، ص٩).

وتشير درية أمين إلى أن إدارة المنزل في الوقت الحاضر أصبح بالإمكان إجمالها في اتجاهين اثنين:

الاتجاه الأول: يميل إلى الارتفاع بالمستوى المادي للأسرة.

الاتجاه الثاني: يهتم بتوفير البيئة التي تساعد على تكوين الإنسان الصالح.

(درية أمين د.ت، ص ص١٠٧-١٠٨)

وما من شك في أن الاتجاه الثاني يتوافق مع الهدف النهائي للتربية الإسلامية والمتمثل في إنشاء الإنسان الصالح.

وتحدد درية أمين الأمور التي تسهم في تحقيق هذا الهدف فتجملها فيما يلي:

١- احترام الوقت والجهد والبعد عن امتهان النفس بحيث لا تهمل ربة البيت نفسها في سبيل تنظيف بيتها.

٢- احترام العقل وعدم امتهانه من خلال قضاء الوقت في الطهي والتنظيف

والحياكة...إلخ، دون تخصيص وقت لزيادة المعلومات.

٣- احترام النفس وعدم امتهان راحة أفراد الأسرة من خلال الشجار الدائم والعبوس من قبل ربة البيت (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ١٠٩).

ونجد أن هذه الأمور تمثل تفصيلات فرعية تتعلق بتكوين شخصية المرأة وتحسين كفاءتها في أداء مسئوليتها الأولى، وهي أمور تؤكد عليها التربية الإسلامية حين تحرص على تربية المرأة المسلمة المعاصرة بما يكفل لها الإحسان في علاقاتها مع الخالق ثم مع الكون بكل ما فيه من مخلوقات.

١ - أمور تساعد على التخطيط:

من أهم الأمور التي تساعد المرأة على الإحسان في التخطيط لإدارة منزلها ما يلي:

أ- جرد موارد الأسرة:

يتوقف نجاح المرأة المعاصرة في إدارة منزلها على الاستفادة من موارد الأسرة المادية والبشرية؛ لذا فإنه ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية جرد موارد الأسرة من آن لآخر، ومراجعة طرق استغلالها لضمان أحسن استغلال.

وتشير درية أمين إلى بعض الأمثلة للموارد التي يمكن استغلالها داخل المنزل ومن ذلك:

١- إذا كانت هناك حديقة داخل المنزل؛ فإنه يمكن ببعض الجهد وبتكاليف بسيطة زراعتها والاستفادة منها جماليا وغذائيا.

٢- إذا كانت ربة البيت لديها إلمام بالخياطة؛ يمكنها شراء ماكينة والتدرب عليها لكفاية كثير من احتياجات الأسرة.

٣- إذا كانت لدى ربة البيت بعض المواهب الفنية؛ فإنه يمكنها تزيين المنزل بأعمال من صنع يديها.(أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٠٤ – ١٠٥).

وإن من سوء استغلال الموارد أن تكون ربة البيت ملمة بالخياطة مثلا ولديها وقت فراغ كاف لممارستها لكنها تقضيه فيما لا يفيد وتعمد إلى شراء الملابس الجاهزة وتلجأ إلى محلات الخياطة وتصرف كثيرا من النقود التي يمكن أن توفرها لما هو أهم.

وتنقسم الموارد إلى **قسمين**:

١ - مـوارد بشرية.

٢- موارد غير بشرية.

١ - الموارد البشرية: وهذه تتضمن:

أ- العلـــم: فهو أقوى سلاح بيد المرأة حيث يساعدها على التفكير واتخاذ القرارات، ويجعلها أكثر كفاءة في مواجهة ما قد يعترضها من مشكلات.

ب- القدرات والمهارات: الطبيعية والمكتسبة من ذكاء ومهارات يدوية والتي تكتسب من خلال التعلم والتدريب.

ج- **العوامل النفسية والمسلك تجاه الحياة**: وهذه تتكون من خلال التربية والتوجيه عبر مراحل النمو المختلفة.

(كوجك، د.ت، ص٩٤ / أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٨٢-٨٤).

٢- الموارد غير البشرية: وهذه تتضمن:

أ - الوقـــت.

ب- الممتلكـات.

ج- تسهيلات المجتمع، من مدارس ومكتبات ومراكز رعاية صحية واجتماعية، وحدائق ونوادي (كوجك، د.ت، ٩٤).

وسوف نفصل فيما يلي الحديث عن الوقت وأهميته وكيفية الاستفادة منه.

- إحسان الاستفادة من الوقت:

يحرص الإسلام على صياغة الشخصية المسلمة وفقا لمعطيات الكتاب والسنة، بحيث تكون متميزة قادرة على العطاء، وذلك من خلال رؤيته للحياة والتي تنطلق من داخل الإنسان بحيث ينعكس أثرها على خارجه.

ونجد أن مواقيت العبادات، وغيرها من الضوابط، كلها تعمل على تنظيم الشخصية المسلمة بحيث تدرك أهمية عامل الوقت باعتباره جزءا مهما من العملية الحضارية.

لذا فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الوقت وتعليمها كيفية تنظيمه والاستفادة منه في أداء مسئولياتها بحيث يتوفر لها من الفراغ ما يمكنها من الإسهام في الارتقاء بنفسها، وتطوير المجتمع من حولها.

ومن بين الأمور التي تساعدها على ذلك:

١ - التنظيم والترتيب:

فهذا يعين المرأة على اختصار الوقت والجهد في البحث عن الأشياء، وقبل ذلك هو من أدب المسلم داخل بيته بحيث لا تقع عين إنسان من داخل المنزل أو خارجه على قبيح.

ونجد التربية الإسلامية تحرص على تكوين العقلية المنظمة لدى الفرد المسلم وذلك من خلال العبادات والمعاملات.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية التنظيم والترتيب، وتعليمها كيف تنظم وقتها فتجعل جزءا منه للعبادة، وآخر لواجبات المنزل، وثالث للمطالعة، ورابع للعمل - إن كانت تعمل - وخامس لصلة الأقارب والأرحام وسادس للترويح... وهكذا.

ونجد بوليت بيرينج تشير في دراسة قامت بها عن تدبير المنزل إلى أنه من الخطأ الاعتقاد بأن المرأة لا تحتاج في إتقانها لعملها داخل المنزل إلى أن تكون ذكية ولا مثقفة، بل على العكس من ذلك فإن التفكير هو الذي يسمح لها بأن تحسن أداء عملها، وهي تشبه إدارة المنزل بإدارة مؤسسة إنتاجية صغيرة، وترى بأن عمل المرأة يظل ناقصا إذا لم يرق إلى المستوى الجمالي الذي يساعد الأطفال على تعلم أول درس في الأخلاق من والديهم عن طريق الأشياء المرتبة بإتقان (أوبير، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٥٦١ - ٥٦٢).

٢- الاستفادة من وقت الفراغ:

رافق التطور الذي لحق كافة جوانب الحياة، أن كثيرا من الأعمال المنزلية قد أصبحت اجتماعية بصورة كلية أو جزئية، وبذلك انزاح عن كاهل المرأة المعاصرة كثير من المتاعب التي كانت تعاني منها جدتها، ولم تعد بحاجة إلى قضاء وقتها كله في أعمال المنزل، مما أتاح لها الحصول على وقت فراغ كبير.

لكن مما يؤسف له أن كثيرا من النساء لا يدركن قيمة ساعات الفراغ، فنجد الواحدة

منهن تقضيها في التسلية غير الهادفة، أو في زيارات لا طائل من ورائها، أو في مكالمات هاتفية فارغة؛ في حين أن التوجيهات النبوية الكريمة تنبه إلى أهمية الإحسان في الاستفادة من الوقت، ومن ذلك قوله ﷺ: " اغتنم خمسا قبل خمس؛ حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، **وفراغك قبل شغلك**، وغناك قبل فقرك" (الحاكم، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م، ج٢،ص١٤٨).

والفراغ - كما يؤكد د. القرضاوي - لا يبقى فراغا بل لابد أن يملأ بخير أو بشر، ومن لم يشغل نفسه بالطاعة شغلته بالمعصية (القرضاوي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ١٥).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية الاستفادة من وقت الفراغ، وكيفية شغله بأعمال نافعة تعود عليها وعلى أسرتها بالفائدة، وتمكنها من الإسهام بفعالية في تطوير مجتمعها المحلي من حيث الإنتاج، وهو ما تتبعه دول شرق آسيا التي تعتمد في منتجاتها على الأسر المنتجة، وكذلك أيضا في مساعدة المرأة على تطوير حياة الأسرة من حيث نوعية المأكل والملبس والصحة، خاصة في الأسر الفقيرة التي لا يمكنها الخروج عن فقرها إلا إذا تعلمت كيفية الاعتماد على الذات وإيجاد حلول بديلة للعجز القائم.

ومن بين الأنشطة التي يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة القيام بها:

أ - الأشغال اليدوية.

ب - الصناعات الغذائية: كالحلوى والمربيات، وذلك بغرض كفاية حاجة المنزل، إضافة إلى أنه يمكن الإسهام بها في تزويد الأسواق الخيرية التي تقيمها الجمعيات الخيرية والاجتماعية.

ج - الإسهام في الأنشطة الاجتماعية.

وتشير سهام القحطاني إلى بعض الأمثلة للأنشطة التي يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة أن تسهم من خلالها في الارتقاء بوضع المجتمع منها:

١- الإسهام في حل القضايا الاجتماعية، كالجهود الذاتية في محو الأمية.

٢- عمل محاضرات للتوعية التثقيفية والتربوية ضمن إطار الحي الذي تسكنه.

٣- الإسهام في تطوير مرافق المجتمع النسوية بجهود فكرية أو مادية.

٤- الإسهام في حل مشكلات المرأة الريفية، وتوعيتها بالأمور الضرورية.

(القحطاني في عكاظ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٣٨٨).

ونجد مسلمة صدر الإسلام قد أدركت أهمية الاستفادة من وقت الفراغ وشغله فيما يعود عليها وعلى غيرها بالفائدة. ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري من أن امرأة كريمة موسرة، كانت تصنع وليمة بعد الجمعة يحضرها من يشاء. وقد كانت لها مزرعة سلق، فكانت إذا ما جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقه – مرقه –.

يقول سهيل راوي الحديث:

" كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه،وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك " (البخاري، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ج١، الجمعة/ ٣٩، ص٢٢٥).

د- توفير الجهد:

عمل المنزل يستلزم بذل عدة أنواع من المجهود العقلي والبصري واليدوي والجذعي ومجهود الساقين.

ونجد هناك كثيرا من العادات التي تستنفذ جهد المرأة، والتي تعودت عليها في أداء مسئولياتها منذ الصغر، وما من شك في أنه من الصعب على الإنسان تغيير أي عادة ينشأ عليها إلا إذا اقتنع بذلك. وهنا تكمن أهمية توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية استبدال تلك العادات بأساليب أخرى جديدة توفر الجهد وتكفل الإحسان في أداء المسئوليات، وبذلك تبتعد المرأة عن الإرهاق الذي قد يؤثر سلبيا على أعصابها وتفكيرها الأمر الذي ينعكس أثره على باقي أفراد الأسرة.

وتشير درية أمين إلى أن ذلك لا يتحقق باللجوء إلى الكسل، وإنما من خلال تعلم العادات السليمة والأساليب الصحيحة لأداء الأعمال (درية أمين، د.ت، ص ٢٦٦)، ومن هذه الأساليب:

١- **التنسيق في أداء الأعمال المختلفة في وقت واحد:** فمثلا: غسل ما يمكن من الأدوات أولا بأول عند إعداد الوجبات يقلل من تكدسها، إلى جانب سهولة غسلها قبل تجمد الأطعمة فيها.

٢- **استخدام العضلات المناسبة في الأعمال المناسبة**: فقليل من الثقافة الطبية يساعد المرأة على معرفة نوع العضلات المناسبة لكل عمل بحيث لا تلحقها المتاعب من جراء القيام به، فمثلا: عند رفع شيء من الأرض تركز على عضلات ساقها دون ظهرها.

٣- **تنسيق العمل بين اليدين**: وذلك من خلال تدريب اليد اليسرى من أجل الإسهام في إنجاز الأعمال.

٤- **ترتيب المنزل بطريقة تساعد على سهولة تنظيفه وسهولة التحرك فيه.**

٥- **تخصيص وقت للراحة من أجل استعادة الجهد المبذول.**

٦- **اكتساب المهارات التي تساعد على إنجاز الأعمال بأقل جهد** مع الاستفادة من الآلات الحديثة بحسب الإمكانات المادية.

ويلاحظ أن زيادة الجهد تؤدي إلى زيادة الطاقة المستخدمة، مما يعني المزيد من التعب؛ لذا فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية تحديد كمية الطاقة المستخدمة في أداء الأعمال حتى تحرص على الحفاظ على صحتها من الإرهاق والتعب. (كوجك، د.ت، ص١٥٣ -١٦٦ / أمين والبقلي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٥، ص ٨٥ - ٨٦).

وتشير كوجك إلى بعض الأمور التي تساعد على تحديد كمية الطاقة المستخدمة في أداء الأعمال وهي:

١- **موعد القيام بالعمل**: فالبحوث والدراسات تشير إلى أن أداء العمل في الصباح يستهلك طاقة أقل من أدائه آخر النهار.. وهذا ينبهنا إلى توجيه الرسول الكريم ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى- بالتبكير، حيث يقول عليه السلام: " اللهم بارك لأمتي في بكورها "(ابن ماجه، د.ت، ج٢، التجارات/ ٤١، ص٧٥٢).

٢- **سرعة أداء العمل**: فقد وجد أن زيادة السرعة تؤدي إلى زيادة الطاقة المستهلكة.

٣- **طبيعة الجسم أثناء أداء الأعمال**: فقد أشارت التجارب إلى أن طبيعة الحركات المطلوبة ووضع العضلات المستخدمة يؤدي إلى الإحساس بالتعب حتى ولو كانت الطاقة المستهلكة ضئيلة. فمثلا وجد أن العمل في وضع وقوف ثابت يزيد من الإجهاد لتأثيره على الدورة الدموية، ولضغط ثقل الجسم. ويمكن تجنب ذلك بعدم الوقوف في وضع واحد لفترة طويلة، والتحرك من مكان لآخر؛ حيث إن المشي أقل إجهادا من الوقوف.

كما وجد أن الإجهاد يؤثر كثيرا على قدرة الإنسان على العمل، حيث يزداد تعب العضلات مع زيادة العمل، حتى تعجز الأعضاء عن القيام بالعمل، فتعجز الأصابع عن الكتابة، وتعجز الرجل عن الحركة (كوجك، د. ت، ص ١٧٣-١٧٥- أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ١٩٥).

وقد أثبتت الدراسات ما يلي:

١- أن القدرة على الاستمرار في العمل المتواصل تختلف باختلاف الأفراد، فالبعض يتعب بسرعة والبعض الآخر لا يشعر بالتعب إلا بعد فترة طويلة من العمل المتواصل.

٢- أن قدرة الفرد على تحمل التعب لا تتغير إلا بتغير ظروفه الصحية والعملية.

٣- كلما زاد التعب صعب التخلص من تأثيره بسهولة.

٤- كلما زاد التعب، انخفضت القدرة على العمل.

(درية أمين، د.ت، ص ١٩٥-١٩٦).

وتؤكد درية أمين على أن ربة المنزل لا تتعرض غالبا للإرهاق الكامل مهما أجهدت نفسها وذلك لتنوع أعمالها، حيث إن كل عمل تقوم به يتطلب استخدام عضلات مختلفة؛ مما يتيح للعضلات المتعبة أن ترتاح، إلى جانب أنه يمكنها تجنب التعب وذلك بتغيير وضع جسمها أثناء تأدية الأعمال، وبالاستلقاء لفترات بغرض توفير الراحة الكاملة (درية أمين، د.ت، ص ١٩٩).

وقد وجد أن التعب النفسي أهم وأخطر من التعب الجسمي لتراكمه بشكل غير محسوس حيث لا يظهر إلا بعد أن يستفحل أمره، وعند ذاك يصعب التخلص منه وهو يعد من العوامل الرئيسية التي تهدد سلامة الأسرة، ومن أسبابه:

١- امتناع أفراد الأسرة عن مساعدة ربة المنزل.

٢- أن تقضي ربة المنزل حياتها في أعمال روتينية دون أن تتاح لها الفرصة للترويح الذي حث عليه الرسول ﷺ بقوله: (روحوا القلوب ساعة وساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت) (العجلوني، د.ت، ج١، ص٤٣٥).

٣- ربة البيت التي تنشأ في ظروف تربوية خاطئة بعيدا عن مفهوم الحياة الأسرية الصحيحة. (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٢٠٠).

وأرى أن السبب الأساسي في وجود مثل هذه الأمور الداعية إلى حدوث التعب النفسي هو غياب علاقة العدل والإحسان في تعامل أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، والتي يكفل وجودها تحقيق الأمن والطمأنينة والراحة للجميع.

رابعا: اتجاهات ومهارات اقتصادية ينبغي على التربية أن تعمل على تنميتها لدى المرأة المسلمة المعاصرة:

١- تدريبها على فن الشراء:

من تطورات العصر الحاضر؛ أن المرأة المعاصرة أصبحت أكثر تحكما في قرار الشراء من الرجل وذلك فيما يتعلق بمستلزماتها الشخصية إلى جانب مستلزمات البيت والأولاد والزوج؛ ولهذا وجدنا نسبة ضخمة من الإنتاج العالمي تخضع لذوق المرأة ورغباتها، إلى درجة أن بعض الشركات العالمية تعمد سنويا إلى إجراء استفتاءات بغرض تحديد الأشكال التي تفضلها المرأة لمنتوجاتها. (باجبير في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٩٨٣).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتعليمها فن الشراء والبيع، وتعريفها بالخامات والأدوات وأماكن البيع والشراء والأوقات المناسبة لذلك، وغير ذلك من المهارات اللازمة.

ونجد السنة النبوية تشير إلى أن مسلمة صدر الإسلام كانت تمارس البيع والشراء وكانت حريصة على الإحسان في عملها هذا.

ويشير ذلك إلى سؤال قيلة أم أغار - التي كانت تبيع وتشتري في أسواق مكة - للرسول ﷺ عن حدود المساومة بين البائع والمشتري. حيث قالت: يا رسول الله إني امرأة أبتاع وأشتري، فإذا أردت أن أبتاع الشيء سمت به أقل مما أريد، ثم زدت ثم زدت حتى أبلغ الذي أريد وإذا أردت أن أبيع الشيء سمت به أكثر من الذي أريد ثم نقصت حتى أبيعها بالذي أريد أن أبيعها به. فقال الرسول ﷺ: " لا تفعلي هكذا يا قيلة، ولكن إذا أردت أن تشتري شيئا، فأعطي به الذي تريدين أن تأخذيه به، أعطيت أو منعت. فإذا

أردت أن تبيعي شيئا فاستامي الذي تريدين أن تبيعيه به أعطيت أو منعت. " (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٣١١-٣١٢).

وهكذا وجدنا الرسول ﷺ يعلم قيلة فن البيع والشراء الذي يتوافق مع مبادئ الإسلام التي تحرص على تحقيق العدل والإحسان في كل شيء.

وتدريب المرأة المسلمة المعاصرة على فن الشراء، يقتضي من التربية توعيتها بأهمية الترشيد الاستهلاكي وإمدادها بالمعارف والخبرات التي تساعدها على تحقيقه في واقع حياتها.

والترشيد الاستهلاكي يعني: " حسن استخدام الموارد المتاحة وعدم الإسراف في استخدامها ". (كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص ٢٢).

ونجد أن هذا المعنى يتفق مع عدم الإسراف الذي يأمرنا به الإسلام، والذي يحضنا من خلاله على الزهد الذي يولد توازنا بين الغرائز وبين مطالب الجسد والروح، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة " (البخاري، ١٣٩١ هـ/ ١٩٨١ م، ج ٧، اللباس / ١، ص ٣٣).

وهناك كثير من الأهداف التي ينبغي على التربية أن تعمل على تحقيقها من خلال توعية المرأة بالترشيد الاستهلاكي. وتشير كوجك إلى بعض هذه الأهداف وهي:

١- **تمكينها من اكتساب الأسلوب العلمي** لاتخاذ القرار عند الشراء.

٢- **تبصير المرأة بحقوقها وواجباتها** باعتبارها مستهلكا.

٣- **تعريفها بقوانين الدولة** ومواصفات السلع.

٤- **تزويدها بالمعلومات الأساسية** للسلع المتوفرة.

٥- **تبصيرها بأساليب الغش** لحمايتها منه.

٦- **حمايتها من الإعلانات المضللة**.

٧- **تكوين الوعي الاستهلاكي** لديها، وذلك من خلال تكوين عادات واتجاهات سليمة تمكنها من التصرف بحكمة في الموارد المتاحة، والتكيف مع مختلف الظروف.

(كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص ٢٢ -٢٣).

ونورد فيما يلي بعض الأمثلة التي تؤكد كيف أن توعية المرأة المسلمة المعاصرة بالترشيد الاستهلاكي تسهم في إشاعة علاقة العدل والإحسان داخل الأسرة وخارجها.

١- أن معرفة المرأة بقوانين الدولة المتعلقة بالأسعار يمكن أن تسهم في حماية المجتمع من ارتفاع الأسعار حيث إن امتناع المرأة عن شراء ما يزيد سعره عما قررته الدولة يمكن أن يسهم في إلزام البائعين بالالتزام بالتسعيرة وتحقيق قول الرسول ﷺ: " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" (الترمذي، د.ت، ج٣، البر / ١٨، ص ٢٨٧)، وذلك لأن كثيرا من أفراد المجتمع قد يعجزون عن الشراء بأسعار عالية.

٢- عمل ميزانية لمصروفات المنزل يساعد المرأة على الإحسان في صرف موارد الأسرة، ويبعدها عن الوقوع في أزمات مادية.

٣- يمكن للمرأة أن توفر كثيرا من المال من خلال شرائها بالجملة واستغلال فرص تواجد السلع بكثرة واستغلال فرص التنزيلات، مع أهمية الوعي بأساليب الإغراء والخدع التي يستخدمها البائعون [١] أو المنتجون من أجل ترويج بضائعهم.

يقول ألكساس كاريل: " إن حياتنا تتأثر إلى حد كبير بالإعلانات التجارية التي تجعل كثيرا من المنتجات الضارة غير المفيدة للجسم ضرورية وعلامة على التحضر في حين أنها قد تكون ضارة، خاصة إذا ما اعتمدت على معلومات غير كاملة أو غير حقيقية عن السلع "(كاريل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣٩).

وهنا لابد من التأكيد على ما تشير إليه الدراسات من أن الشراء دون تخطيط يزيد عندما تخرج الأسرة كلها للسوق، وأن وجود الأطفال يشجع رغبات الشراء السريعة لبعض السلع؛ كاللعب والحلوى؛ ولذلك فإنه ينبغي تحديد المطلوب في قائمة يلتزم بها من أجل مقاومة الشراء العاطفي، والانتباه كذلك إلى أن الشراء الأسبوعي أفضل من الشراء اليومي (كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص ٤٣٣ - ٤٣٥).

---

(١) من الأساليب الزائفة التي يلجأ إليها بعض البائعين من أجل إثارة دافع الشراء لدى النساء ما يلاحظ في الأسواق من مخاطبتهم للنساء بعبارات " احترام وهمية " قد تنطبق على البعض لكن لا يمكن بحال أن تنطبق على جميع النساء، مثل: مناداة الشارية بلقب يا أستاذة أو يا دكتورة.. إلخ.

٢- الاقتصاد في المظاهر:

يلاحظ أن الاندفاع المحموم وراء الاستهلاك، والرغبة في " التحضر " و" العصرنة " قد جعلت أفراد المجتمع يتنافسون في ما يملكونه من أثاث وفرش ورياش. ونجد الزواج هو المجال الأكثر إظهارا لهذا التنافس، حيث حولت العادات والتقاليد معناه من سكن ومودة ورحمة إلى لهو وزينة، وغلو في المهر والأثاث إلى جانب ما يصاحب ذلك كله من موائد متعاقبة لجموع الرجال والنساء، وحفلات تقام ليلا ونهارا، وكل ذلك بدافع حب الظهور أمام الآخرين.

والأدهى والأمر في الموضوع هو ما نلاحظه من اندفاع لدى الأسر المتوسطة في مجاراة الأغنياء ومحاكاتهم. ونجد أن عبء ذلك يقع على المرأة من عدة نواح، أبرزها:

١- أن البنات أصبحن يمثلن عالة على ذويهن الذين يتحملون عبء المصاريف التي تقررها النساء، ويرضخ لها الرجال خوفا من المشكلات التي قد تنجم في حالة الرفض.

٢-أن هذا الأمر قد أثقل كاهل العائلات الفقيرة التي قد تستدين أو تبيع ممتلكاتها من أجل الظهور أمام الآخرين. وعلى الرغم من شعور كثير من الناس بفداحة هذه العادات إلا أنهم يتمادون فيها، بينما من لا يمكنهم مجاراة غيرهم نجدهم يؤخرون زواج أبنائهم، ومن ثم فقد أسهم ذلك في:

أ - ارتفاع سن الزواج.

ب- انتشار العنوسة.

ج - وقوع المتزوجين حديثا أسرى لديون.

(الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٤٠ - ١٤٣).

والتربية هي التي تنبه المرأة المسلمة المعاصرة - باعتبارها أساس اللهاث خلف المظاهر- كيف أن ذلك يخالف مبادئ الإسلام، التي تحث على الاقتصاد وعدم الإسراف، وتنهى عن تظاهر المرء وتفاخره بما ليس له [1].

---

(١) ثارت إحدى بلدان الأردن سلميا على العادات والتقاليد الاجتماعية المرهقة ماديا وبدنيا، والمهدرة للوقت، وذلك من خلال إقرار وثيقة اجتماعية لتنظيم عادات الأفراح والأتراح، بإلغاء كثير من المظاهر، والإبقاء فقط على الأصول العربية والإسلامية في العادات المستحبة بعيدا عن التنافس والمغالاة، سواء في المهور أو= = في إقامة الولائم أو في الحفلات. وقد تضمنت الوثيقة تحديد عدد المدعوين، وركزت على ضرورة تقليل ما يقدم للعروس من ذهب، والاختصار في حفلات عقد القران على ذوي العروسين، وعدم تقديم الحلوى

من ذلك ما روته أسماء من أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت إن لي ضرة، فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال الرسول ﷺ: " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور " (مسلم، د.ت، ج٣، اللباس/ ٣٥، ص ١٦٨١).

كذلك ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الاقتصاد في الأثاث، وذلك بعدم شراء ما لا حاجة إليه بحيث يكون لكل قطعة أثاث تشتريها هدفا تحققه من وجودها في المنزل.

ويتحقق الاقتصاد في الأثاث أيضا، من خلال أساليب العناية به ليدوم أطول وقت ممكن.

ونجد أن الغربيين يفخرون بعدد السنوات التي يحافظون فيها على أثاثهم، في حين أن كثيرا من المسلمات المعاصرات يملن إلى التغيير، بل إن بعض المترفات يعمدن إلى تجديد أثاث منازلهن كل عام، من أجل المفاخرة والظهور أمام من لا هم لهن إلا زخرف الحياة الدنيا وزينتها، متناسيات أن المال الموجود بين أيديهن أمانة سيسألن عنها يوم القيامة.

يقول الرسول ﷺ:" لا تزول قدم ابن آدم من عند ربه حتى يسأل عن خمس:....." وذكر منها: " وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه" [٢].

٣-الاقتصاد في اللباس والزينة:

تشير الدراسات إلى أن النساء أكثر تعقلا من الرجال عند شراء الطعام وحاجات المنزل، لكنهن أكثر عاطفة عند شراء الملابس وأدوات الزينة (كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م،ص ٤٣٣). وهذا يتفق مع ما تشير إليه التوجيهات القرآنية من وجود ميل طبيعي لدى المرأة إلى الزينة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف]

لكن هذا لا يمنع أن تقوم التربية بدورها في ترشيد هذا الميل الطبيعي لدى المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث يكون بقدر الحاجة التي تكفل لها تجنب الإسراف الذي نشاهده

المكلفة، وعدم تدخل الأقارب في الحفلات بين الأفراد. (" يرقا " الأردنية تثور.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، ع ٦١٧٢).

(١) انظر نص الحديث ص ١٣١.

اليوم لدى الكثيرات.

فالله سبحانه وتعالى "يحب أن يرى أثر نعمته على عبده." (الترمذي، د.ت، ج٥، الأدب/ ٥٤، ص ١١٤)، ولكن في حدود المعقول، بحيث تتذكر المرأة من هو مشرد وعار من إخوتها، فتبذل لهم ما تستطيع ليكون ذخرا لها يوم القيامة.

ونجد أن دور الأزياء ومحلات الزينة تطلع علينا كل يوم بجديد، وحرص المرأة على اقتنائه يجعلها تقع في أمر مكروه من قبل الله سبحانه وتعالى، أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: " إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال **وإضاعة المال**. "(مسلم، د.ت، ج٣، الأقضية / ٥، ص ١٣٤١)، إلى جانب أن في ذلك إفراطا في التنعم نهى عنه الرسول ﷺ فيما رواه فضالة بن عبيد رضي الله عنه حيث قال: " أن رسول ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه " (أبو داود، د. ت، ج١١، ص ١١٨).

والتربية في إمدادها للمرأة المسلمة المعاصرة بالمعارف والخبرات التي تعينها على الترشيد في استهلاك الملابس، ينبغي أن تراعي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما يلي:

١-الربط الموضوعي والوظيفي بين الملابس والزينة والعمل والسن وحجم الجسم ولون البشرة.

٢-تشجيع الإنتاج الوطني للدول الإسلامية، ونبذ التقليد والانبهار بالمستورد[1].

٣-كيفية تعديل الملابس القديمة لإظهارها في شكل جديد، أو ملابس الكبار لتلائم الصغار.

وأهم ما ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إليه، هو أن اختيارها لملابسها ينبغي أن يتم بناء على شعور صادق ورغبة في إرضاء الله من خلال الستر والحشمة، وأن ذلك لا يمنع أن تكون الملابس جميلة بين النساء ومتميزة بالحشمة أمام الرجال.

---

(١) في استطلاع أجرى في إحدى الدول الإسلامية أشارت بعض الأمهات إلى أنهن أصبحن يجدن في بناتهن صورا باهتة للبنات اللاتي يظهرن مع المطربين في الفيديو كليب من حيث الملابس المهلهلة والشعر الثائر والسلوكيات الغربية والماكياج الصارخ. تقول إحداهن: " لقد سرقت الموضة عقل بناتي حيث يشاهدنها عبر الفضائيات، وهي أزياء صارخة تكشف أكثر مما تستر."، وكل ذلك بحجة الشعار الذي يرفعن: "زماني غير زمانك " (بحجة زماني.. في عكاظ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٦٧١).

ونجد أن مما تخدع به المرأة نفسها؛ أن تعتقد بأن اللباس السابغ أمام الرجال يكفي، في حين نجدها تتفنن في الإغراء به من خلال تزيينه، بحيث يصبح ملفتا للنساء قبل الرجال.

٤-التعود على البساطة:

البساطة هي حالة ذهنية تجعل المرأة تفضل ما فيه الراحة الشخصية لها ولأفراد أسرتها، بعيدا عن تقاليد المجتمع، ومستويات المعيشة للآخرين (كوجك، د.ت، ص ١٠٥).

وفي عصرنا الحاضر الذي طغت فيه المادة على كل شيء، فإن تطبيق مبدأ البساطة في المعيشة قد أصبح من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى عزم وشجاعة من المرأة من أجل اتخاذ القرارات المتعلقة به.

وتؤكد كوجك على أن البساطة في المعيشة تكفل للمرأة حريتها الشخصية، وأسلوبها الخاص في المعيشة، حيث لا تعبأ بآراء الآخرين مادامت بعيدة عن ارتكاب أخطاء في حقهم، أو في حق المجتمع (كوجك، د.ت، ص ١٢٦).

والتربية هي التي توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الالتزام بهذا المسلك لتوافقه مع ما دعا إليه الإسلام من اعتدال في كل أمور الحياة، وما نهى عنه من إسراف وتبذير، وما يهدف إليه من قناعة وزهد.

ونجد السنة النبوية الشريفة تؤكد على أهمية البساطة، التي كانت تمثل سمة عامة لحياة مسلمة صدر الإسلام، و من ذلك ما كانت عليه من بساطة في المطعم والملبس والأثاث، حيث نجد أن الرسول ﷺ قد جهز ابنته فاطمة رضي الله عنها يوم زواجها " بخملة ووسادة أدم حشوها ليف، ورحائين وسقاء وجرتين " (ابن سعد، د. ت، ج ٨، ص ٢٥).

بل إن التوجيهات النبوية الكريمة تذهب إلى أبعد من ذلك حين تحبب المسلم في البساطة المعنوية، ونجد ذلك متمثلا في مسلك الرسول ﷺ الذي روت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها أنه " ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما " (البخاري، ١٣٩١هـ / ١٩٨١م، ج٤، المناقب / ٢٣، ص ١٦٦).